فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم

من سلسلة "خط الزمن"

الحلقة (27) مصر تحت حكم المماليك

(باللهجة المصرية)

لفضيلة الشيخ: د. راغب السرجاني

رابط المادة: http://way2allah.com/khotab-item-22919.htm

أعوذ بالله السميع من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا إنه من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أما بعد، فأهلًا ومرحبًا بكم في هذا اللقاء المبارك، وأسأل الله –عز وجل– أن يجعل هذا اللقاء في ميزان حسناتنا أجمعين.

نجم الدين أيوب أعظم شخصية بعد صلاح الدين الأيوبي

مع الحلقة السابعة والعشرون من خط الزمن و مازلنا مع قصة فلسطين، في الحلقة اللي فاتت شفنا وضع الدولة الأيوبية بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي –رحمه الله–، شفنا الصراعات والخلافات التي قامت بين الإخوة وبين الأعمام، ثم بعد ذلك شاهدنا صعود الملك الصالح نجم الدين أيوب –رحمه الله– وهو أعظم شخصية في الدولة الأيوبية بعد صلاح الدين الأيوبي –رحمه الله–، وقام هذا الرجل بتوحيد العالم الإسلامي مرةً ثانية وقام بالانتصار على الصليبيين في موقعة المنصورة مع أنه لم يشارك في الانتصار في حياته، لكن جهَّز الجيش كله وأعد العدة ثم مات في ميدان القتال واستكمل القتال من بعده قواد الجيش فارس الدين أقطاي وركن الدين بيبرس وزوجته شجرة الدر، واستقدمت كما ذكرنا توران شاه ابنه الوريث على حكم المصريين والشاميين في ذلك الوقت، وعندما جاء توران شاه انتصر في موقعة فارسكور على الصليبيين ورد الحملة الصليبية السابعة بل و أسر لويس التاسع ملك فرنسا الذي فدى نفسه بكمية ضخمة جدًا من الأموال، واستطاع أيضًا أن يقتل ثلاثين ألف صليبي أو أكثر من الجيش الصليبي، وأن يأسر عددًا ضخمًا جدًا من الجيوش الصليبية.

شجرة الدر أول ملكة في التاريخ الإسلامي

ومع هذا الانتصار الكبير إلا أن حدثت فتنة كبيرة بعد وفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب وشك الناس في من يقود البلاد، ومكانوش شايفين في توران شاه الزعامة الحقيقية للبلاد، فحصلت فتنة كبيرة وكان من جراء هذه الفتنة أن قُتِلَ توران شاه وبذلك خلت مصر من حاكم أيوبي يستطيع أن يتولى الأمور فيها، ومن ثَم أعلنت شجرة الدر نفسها ملكة على مصر، طبعًا كانت كارثة كبيرة جدًا هذه أول امرأة في التاريخ الإسلامي تعلن نفسها ملكةً على

المسلمين، وبالذات في هذا الزمن الشديد الصعوبة في حروب مع الدولة التترية الكبرى زي ما هنتكلم بعد شوية، وفيه حروب ضخمة كثيرة جدًا مع الصليبيين مع فرنسا وانجلترا وألمانيا والنمسا وأسبانيا، يعني أمور كثيرة جدًا من الصعاب الشديدة تمر بها الأمة الإسلامية، فكان صعبًا جدًا على المسلمين أن يتقبلوا أن يحكمهم امرأة في ذلك الوقت مهما كانت قوية مثل شجرة الدر.

بداية حكم المماليك في مصر

قامت ثورات كبيرة جدًا في مصر وكذلك في الشام بل وصلت الثورات إلى بغداد، واعترضوا جميعًا على ولاية شجرة الدر فتزوجت من رجل اسمه عز الدين أيبك و أعطته الحكم على أن تحكم هي من وراء الستار، وبالفعل بدأ عز الدين أيبك في حكم مصر وهذه هي البداية الحقيقية لحكم المماليك لمصر، المماليك زي ما قلنا في الحلقة اللي فاتت استقدمهم الملك الصالح نجم الدين الأيوبي عشان يساعدوه في الجيش وبالفعل وصلوا إلى درجات عالية جدًا من المهارة والتفوق والفروسية والعلم والدين والفقه والإسلام فوصلوا لدرجات عالية جدًا من التفوق خلتهم عندهم القدرة على إدارة الجيش، بل وإدارة البلد بكاملها فلم يكن شيئًا مستغربًا أن يصل عز الدين أيبك وهو أحد كبار المماليك أن يصل إلى قيادة مصر بكاملها .

بداية حكم سيف الدين قطز –رحمه الله–

وبعد ما تولى حكم مصر طبعًا ظهر تمرد على شجرة الدر يعني في صراعات كثيرة ليس المجال لتفصيلها، قُتِلَتْ شجرة الدر و قُتِلَ أيضًا عز الدين أيبك وانتهى الأمر بوصول سيف الدين قطز –رحمه الله– من أعظم الشخصيات والقواد الإسلاميين إلى كرسي الحكم في مصر، وكان ذلك في شهر ذي القعدة من سنة 657.هـ، يعني بعد وفاة الملك الصالح نجم الدين الأيوبي بعد عشر سنوات تقريبًا، كانت هذه العشر سنوات تقريبًا في اضطرابات كثيرة في خلافات كثيرة بين المسلمين.

التتار وبداية نشأتهم

استقرت الأوضاع لسيف الدين قطز في مصر، وبدأ يجهز جيش لحرب مين؟ مش لحرب الصليبيين، ولكن لحرب التتار وده حيجرنا للحديث بإيجاز شديد عن التتار وطبعًا التتار محتاجين عدة حلقات للتفصيل في قصتهم، التتار دولة نشأت في منغوليا شمال الصين في سنة 603.هـ، أنشأنها جنكيز خان هو من أكبر الشخصيات الدموية في التاريخ وتوسعت بسرعة كبيرة جدًا أخذت منغوليا وأخذت الصين، وأخذت فيتنام، وبعض أماكن في شرق آسيا، ووصلت في سنة 617.هـ، إلى أن تمتلك تقريبًا كل شرق آسيا، وعندما وصلت إلى هذا الحجم بدأت تفكر في الهجوم على الدول الملاصقة لها غربيًا، وهذه الدول كانت كلها إسلامية.

سقوط الخلافة الإسلامية على يد التتار

وبالتالي بدأ الغزو التتاري للعالم الإسلامي وكان بداية هذا الغزو لمملكة خوارزم، وتكلمنا عليها في الحلقة إللي فاتت في إشارة سريعة، واجتاحت الجيوش التترية العالم الإسلامي وأسقطت المدن الإسلامية بسرعة، أسقطت بخارى وسمرقند و مرو نيسابور، وكابول، وغزنة، وغيرها من البلاد الإسلامية العظيمة، في أوزباكستان وكازاخستان وأذربيجان، و إيران وباكستان وأفغانستان، في أكثر من منطقة الحقيقة انتشرت الجيوش التترية بل ووصل الأمر إلى إسقاط الخلافة العباسية في 20 محرم سنة 656.هـ، ده بيوافق 1258.م، يعني تقريبًا نص العالم الإسلامي بما فيه الخلافة العباسية في بغداد سقطت تحت أقدام التتار في غضون أربعين سنة فقط.

غزو الجيوش التترية البلاد الإسلامية

هذا الوقت تزامن مع صعود قطز –رحمه الله– إلى كرسي الحكم في مصر، وبمجرد أن صعد وصلت الأنباء إلى أن الجيوش التترية جوزت بغداد واحتلت حلب ثم دمشق، وبدأت تتوجه إلى فلسطين واحتلت فلسطين بكاملها، ووصلت في احتلالها إلى ميناء غزة في فلسطين، يعني تقريبًا على مقربة شديدة جدًا من الحدود المصرية، طبعًا كانت كارثة كبرى وكان واضح جدًا لكل المراقبين والمحللين إن التتار حياكلوا مصر في سكتهم، وبعد كدا ينفتح ليهم غرب العالم الإسلامي كله من أول ليبيا لحد المغرب، مفيش أي قوة تستطيع أن تقف أمامهم إذا أُسْقِطَتْ الدولة المصرية في ذلك الوقت.

ضخامة حجم الدولة التترية

وعلى فكرة التتار ما كانوش بيكتفوا فقط بحرب المسلمين، لكن كان ليهم توسعات ضخمة جدًا جدًا في أوروبا، وأنا عايز أقول لكم إن وصلت قوة الدولة التترية إلى احتلال نصف أوروبا الشرقي بكامله حتى وصلوا إلى بولندا، فأصبح في وقت واحد زعيم تتري واحد يستقر في منغوليا يحكم دولة تصل حدودها الشرقية إلى كوريا وحدودها الغربية إلى بولندا، وحدودها الشمالية إلى روسيا أقاصي روسيا، وحدودها الجنوبية تصل إلى الخليج العربي وتصل إلى المحيط الهندي، يعني دولة هائلة ما شهد التاريخ مثلها حتى هذه اللحظة، وكل ده في غضون أربعين سنة فقط طبعًا شيء مهول و عجيب.

بداية حكم قطز –رحمه الله–

يعمل إيه قطز قدام هذه المشكلة الضخمة؟ بمجرد ما استلم الحكم لقى قدامه مصيبة كبيرة جدًا، وهي مصيبة التتر وفين التتار موجودين في غزة يعني خلاص حيعبروا سيناء، ويبقوا في القاهرة وبالفعل أرسلوا رسالة إلى قطز ينهونه فيها عن أي محاولة للمقاومة، ويطلبون منه فتح الطريق تمامًا إلى الجيوش التترية لتجتاح مصر كما اجتاحت غيرها

من بلاد العالم الإسلامي، يا ترى رد فعل قطز إيه؟ –رحمه الله– قطز من أعظم الشخصيات في تاريخ الأمة الإسلامية، يعني عنده طموح جهادي عالي جدًا عنده نوايا نحسبها صادقة ومخلصة، وأيَّد ذلك الواقع الذي شاهدناه من حياته –رحمه الله–، كان عنده علم عالي جدًا، عنده حماسة واضحة جدًا طبعًا كان شاب كان عنده 35 سنة واتولَّى حكم مصر كل فترة حكمه يا إخواني ويا أخواتي لمصر كانت 11 شهر.

البركة من الله في حياة قطز–رحمه الله–

كل القصة اللي بنتكلم عليها دي منذ صعد إلى كرسي الحكم والخلافات التي كانت قبله، قبل أن يصعد إلى كرسي الحكم وقدوم التتار وبعد ذلك زي ما هنشوف حرب التتار ثم وفاة قطز –رحمه الله– أو قتل قطز كل هذه الفترة 11 شهر فقط، فانظر إلى الخير العظيم كيف بارك الله –عز وجل– له في عمره وفي وقته وفي جهده حتى يحقق هذه الآثار في هذه الفترة الوجيزة، لابد من وقفات طويلة جدًا جدًا مع حياة هذا العلامة وهذا البطل العظيم جدًا قطز –رحمه الله–.

جهاد قطز –رحمه الله– أمام التتار

قطز –رحمه الله– أول ما شاف هذه الأمور ما كانش عنده غير حل واحد فقط لمقاومة التتار وهو الجهاد في سبيل الله، ما في عنده احتمالية للمفاوضات أو احتمالية للمحاولات السياسية، أو احتمالية للهرب من مصر واللجوء إلى مكان بعيد عن التتار كما فعل الكثيرون من أبناء الأمة قبل ذلك، لا هو حل واحد فقط لمقاومة أعداء الأمة الذين جاءوا إلى هذه البلاد وهو الجهاد في سبيل الله، علم علمًا يقينيًا أن الجيوش التي اعتدت على أمة الإسلام لا تستطيع أبدًا أن تُقْنَعْ بالعودة إلى بلادها، ولكن لا بد أن تُرْغَمْ على العودة إلى بلادها وهذا ما بدأ يجهز له.

أعلى قطز من قيمة العلماء والجهاد في سبيل الله

طبعًا الشعب في ذلك الوقت كان بيمر بمشاكل كثيرة، من عشر سنوات التقى مع الصليبيين في موقعة المنصورة، لكن في خلال هذه السنوات العشر من ساعة المنصورة لحد هذا اليوم وهم في صراعات داخلية في داخل مصر، فالشعب ما كانتش عنده القضية واضحة تمام الوضوح، لكن ظلت قيمتان عاليتان عند الشعب المصري في ذلك الوقت لم تختلا مع مرور الزمن، وهي قيمة العلم والعلماء وقيمة الجهاد في سبيل الله، وقطز –رحمه الله– استغل هذه القضية وبدأ يُعلي جدًا من شأن العلماء، وكان أشهر العلماء في زمان قطز –رحمه الله– العز بن عبد السلام –رحمه الله– وهو الرجل العظيم الذي وقف أمام الصالح إسماعيل الأيوبي كما ذكرنا في الحلقات السابقة، وطرده الملك الصالح أو نفاه إلى القدس، ثم عندما فتح الملك الصالح نجم الدين الأيوبي بيت المقدس، وجد

فيها الملك وجد فيها العز بن عبد السلام فاستقدمه إلى مصر وكان قدومه إلى مصر بركة عظيمة جدًا على الشعب المصري وعلى الأمة الإسلامية بصفةٍ عامة.

جهاد المصريين في سبيل الله ضد التتار

قام العز بن عبد السلام –رحمه الله– يحرك الشعب المصري من جديد للجهاد في سبيل الله، هذه المرة ليس ضد الصليبيين ولكن ضد التتار، وقام معه العلماء من أبناء الأمة، بل وقام على رأسهم قطز بنفسه يحفز الناس على الجهاد في سبيل الله، تُرى ما هو رد فعل المصريين لهذا التحميس والتحفيز؟ تُرى ما هو رد فعل المماليك والجيش المصري الذي أصبح الآن فرضًا عليه أن يقاتل أقوى قوة في العالم والقطب الأوحد في العالم دولة التتار؟ تُرى ما هو رد فعل قطز –رحمه الله– الذي لم يستلم الحكم إلا منذ عدة شهور، ولم يبلغ من العمر إلا 35 سنة شاب صغير ده اللي هنعرفه إن شاء الله بعد الفاصل فابقوا معنا.

اتحاد قطز والعز بن عبد السلام لتحفيز الناس للجهاد في سبيل الله

بسم الله والحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله،كنا قبل الفاصل بنتكلم على ظهور دولة التتار الكبرى اللي احتلت تقريبًا نصف مساحة العالم المعمور في زمان قياسي حوالي 40 سنة، واتكلمنا على صعود قطز –رحمه الله– إلى كرسي الحكم في مصر وعلى حميته الكبيرة للجهاد في سبيل الله، وعلى ارتفاع قيمة الجهاد في عيون المصريين، وعلى ارتفاع قيمة العلم والعلماء في عيونهم أيضًا، ولذلك استغل قطز –رحمه الله– هذا التعظيم لقيمة العلم والعلماء، وكوَّن مع العز بن عبد السلام وبقية العلماء فريقًا عظيمًا جدًا لتحفيز الناس على القتال في سبيل الله.

تحرك حمية الجيش المصري لقتال التتار

بالفعل تحركت الحمية في قلوب الناس لكن كان فيه مشكلة كبيرة في المماليك، المماليك اللي هما قواد الجيش المصري في ذلك الوقت، جمعهم قطز –رحمه الله– قال لهم أنتم عليكم تقابلوا الجيش التتري، الكلام ده مش سهل يا إخواني، الكلام ده محتاج نفوس عالية أوي، لأنك أنت هتحارب الدولة رقم واحد في العالم، وإمكانياتك مهما كانت محدودة احنا بنتكلم على دولة مصر في مواجهة دولة تصل من كوريا شرقًا إلى بولندا غربًا، متخيل يعني حوالي أربعين خمسين دولة في بعض بيحاربوا دولة واحدة، هذا طبعًا شيء مهول وبالذات السمعة الرهيبة التي سبقت الجيش التتري وأصبح الناس جميعًا يتكلمون ويقولون إذا كلمك أحد أن التتار هُزموا فلا تصدقه، خلاص هؤلاء لا يهزمون أبدًا ولا ينكسرون.

كان قطز–رحمه الله– هو القدوة

فإزاي قطز يحرك الحمية في قلوب هؤلاء المماليك وقواد الجيش المصري في ذلك الوقت؟ قام قطز –رحمه الله– بأمرين في غاية الأهمية لن تنتصر أمةٌ أبدًا إلا بهما، الأمر الأول: القدوة، قام وقال: أنا ألقى التتار بنفسي، أنا لن أرسل الجيوش إلى هناك تحارب التتار وأنا قابع في قلعتي، أو في قصري، أو بعيدًا عن ميدان القتال، أنا سأتقدم الجيوش وبذلك ضرب القدوة العملية من نفسه وفعل كما كان يفعل رسولنا وحبيبنا –صلَّى الله عليه وسلم– وكان أقرب الناس إلى العدو في ميادين القتال –صلّى الله عليه وسلم–.

ربط قطز –رحمه الله– كل أموره بالله –عز وجل–

فأول شيء إن هو قام بهذه القدوة فتحمس النّاس لحماسة قطز –رحمه الله– ورأَوا القدوة العملية، الحاجة الثانية: أنه ربط الأمر بالله –عز وجل–، لم يربطه به هو شخصيًا أو بالعلماء، أو بمصالح الدنيوية، أو بالقصور والضياع التي ستصبح لهم إذا انتصروا على التتار، أو بالغنائم و الأسلاب، ما ربط بذلك الأمر مطلقًا، إنما علق كل الأمر على مراقبة الله –عز وجل– لهم، قال لهم:" إن الله مطّلعٌ عليكم ولن أرغم أحدًا على الجهاد"، يعني أنا مش هفرض الجهاد على حد، اللي عايز ييجي ييجي واللي مش عايز ييجي ميجيش، والله مطّلع عليهم، "وخطيئة حريم المسلمين في رقاب المتأخرين"، يعني الناس اللي مش حتيجي تحارب، حريم المسلمين الذين سيغتصبوا وتنتهك حرماتهم على أيدي التتار في رقاب هؤلاء المتأخرين عن الجهاد في سبيل الله.

كلمات رائعة قالها قطز –رحمه الله– محفزًا لجيشه

ثم قام وقال كلمةً عظيمة يا ليت كل المسلمين يقولون هذه الكلمة، قال محفزًا لجنوده: "من للإسلام إن لم نكن نحن؟" يعني مين هييجي ينصر الأمة الإسلامية إذا لم تتقدم أنا وأنت وجميع المتحمسين لهذا الدين، من للإسلام إن لم نكن نحن؟ مش هييجي حد من برا نستورده عشان ينصر الأمة الإسلامية، عندما قال هذه الكلمات بصدق يا إخواني انهمرت الدموع من عيون القادة العسكريين، وقاموا معه يدًا واحدة يجهزون جيشًا لحرب الصليبيين.

نظرة قطز المختلفة للأمور

وجهز قطز –رحمه الله– الجيش بتفصيلات الحقيقة كبيرة جدًا، وعظيمة جدًا ليس هناك مجال لشرحها، وبدأ يختار أرض القتال، وهنا لازم نوقف وقفة في غاية الأهمية، لأن الجيوش التترية دلوقتي معسكرة فين؟ معسكرة في فلسطين، عرض قواد الجيش المصري على قطز أن ينتظرهم في مصر، إذا جاءت الجيوش التترية إلى مصر نحاربهم وإذا لم تأتي إلى مصر يكون الله –عز وجل– قد نجّى المسلمين في مصر من القتال، هكذا رأى قواد الجيش المصري، لكن قطز –رحمه الله– كانت له نظرة مختلفة تمامًا، قال لهم: لأ، أنا ما انتظرهمش لما ييجوا مصر أنا لازم أروح أحاربهم في فلسطين.

نقاط هامة جدًا كان يراها قطز–رحمه الله–

ليه الكلام ده؟ أولًا: هو يرى أن أمن مصر القومي يبدأ من حدودها الشرقية، يعني لا يمكن أبدًا أكون أنا مستريح وأنا قاعد في مصر وعندي في شرق العالم الإسلامي أو في شرق مصر، دولة قوية عسكرية مسلحة على أعلى درجات التسليح زي دولة التتار في ذلك الوقت، فأنا ما اقدرش أطمن حتى لو ما دخلوش عليا لازم أنا أذهب وأقاتلهم، الحاجة الثانية: إن لازم أنقل المعركة إلى أرض خصمي، افرض أنا اتغلبت في موقعة مع التتار أرجع فين؟ لو الموقعة في القاهرة خلاص انتهى الأمر، لكن لو الموقعة في غزة أو في أماكن في فلسطين أقدر أرجع لمصر وجهِّز الجيوش من ثاني وأكِّر على العدو مرةً أخرى.

دور المصريين ناحية المسلمين في فلسطين

الحاجة الثالثة: هاخد عنصر المفاجأة، هما متوقعين إن أنا هجهز حصوني في داخل مصر، حيلاقوني فجأة جوه أرض فلسطين، فأكسب عنصر المفاجأة العسكرية، والحاجة الرابعة: في غاية الأهمية، قال لهم إن في للمسلمين في مصر دور ناحية المسلمين في فلسطين، افرض التتار ماجوش خالص إلى مصر، هنترك المسلمين والمسلمات في أرض فلسطين لقوى التتار تطحنهم؟ وتغتصبهم وتنتهك حرماتهم؟ أليس هذا بعيدًا عن الفقه الإسلامي السليم لدين الله –عز وجل–فكانت هذه الروح التي عند قطز –رحمه الله– شرح هذه الوجهة للعلماء وللقادة العسكريين، فقبل الجميع وبدأ تجهيز الجيش المصري.

أعظم موقعة في تاريخ الإنسانية بكاملها

وانتقل بالفعل إلى أرض فلسطين والكلام ده كان في سنة 658.هـ، بيوافق سنة 1260.م، وعلى فكرة التحرك ده كان في شهر الصيف وكانت ظروف صعبة جدًا، لكن استطاع المسلمون بفضل الله أن يصلوا إلى أرض فلسطين، بل وينتصروا على حامية تتارية كانت في غزة ويكملوا الطريق حتى يصلوا إلى منطقة اختارها قطز –رحمه الله– بعناية ليحارب فيها التتار وهي منطقة سهل عين جالوت، تتم في هذه المنطقة التي اختارها قطز –رحمه الله– موقعة من أعظم المواقع لا أقول في تاريخ الإسلام، ولكن في تاريخ الإنسانية بكاملها، لأن دولة التتار دولة أنهكت الحضارة الإنسانية في كل مكان دولة أهلكت الحضارة في بلاد المسلمين وفي غير بلاد المسلمين، دولة دمرت بغداد، دمرت حلب، ودمرت دمشق، وخوارزم، و مرو ونيسابور ومدن المسلمين، ودمرت موسكو، ودمرت صوفيا، ودمرت غيرها من المدن النصرانية.

موقعة عين جالوت

فعلًا دولة كانت دولة إجرامية، تهدف إلى تدمير وإلى إبادة وإلى قتل وإلى سحق لكل ما هو حضاري، فهذه الموقعة التي انتصر فيها قطز –رحمه الله– على التتار موقعة عين جالوت، هذه الموقعة فعلًا تسجل بحروفٍ من نور في ميراث الإنسانية بكاملها، أو في تاريخ الإنسانية بكاملها، هذه الموقعة استدرج فيها قطز –رحمه الله– الجيش التتري إلى سهل عين جالوت، وبعد خطة عسكرية بارعة جدًا وفقه رب العالمين –سبحانه وتعالى– فيها، استطاع قطز –رحمه الله– أن يسحب الجيش التتري بكامله إلى داخل أرض سهل عين جالوت، وكان على قيادة الجيش التتري كتبغا نوين، وكان قائدًا تتريًا نصرانيًا، كان قد تنصَّر ويقود الجيوش التترية، وكان هولاكو قد عاد إلى قوراقورم عاصمة الدولة التترية للتفاوض على أمور قيادة الدولة التترية بكاملها.

الانتصار الكبير لقطز –رحمه الله– على جيوش التتار

وبعد صدام ضخم جدًا ومروع وكاد المسلمون أن يُهزموا في باديء الصدام لقوة الجيش التتري، نزل قطز –رحمه الله– بنفسه إلى أرض القتال، ووجد الجنود أن قطز –رحمه الله– وصل إليهم، وهو يتكلم ويصيح بصيحته الخالدة وا إسلاماه، وا إسلاماه، وا إسلاماه قالها ثلاث مرات يعبر فيها عن منهجه –رحمه الله– في حياته، التفَّ حوله المسلمون وكان صدامًا مروعًا، وانتصر المسلمون انتصارًا كبيرًا وقتِلَ كتبغا نوين في هذه الموقعة، وانسحب الجيش التتري هاربًا إلى الشمال لكن قطز –رحمه الله– تتبع الجيش، وتمت موقعة أخرى كبرى عند بيسان، كانت أشدُّ من الموقعة الأولى، واستطاع قطز –رحمه الله– في هذه الموقعة أن يعيد الكرَّة للمسلمين مرةً ثانية، بعد أن كاد التتار في موقعة بيسان أن يستعيدوا زمام الأمور، وكرر كلمته العظيمة وا إسلاماه، وا إسلاماه، وا إسلاماه.

فناء الجيش التتري بكاملة على يد قطز –رحمه الله–

وعندما رأى أن الأمر قد اشتدَّ بقوة على المسلمين رفع يده إلى السماء وقال: يا الله انصر عبدك قطز على التتار، هذه كلمة في منتهى الروعة في هذا المقام، لا يتحدث عن نفسه كملك، لا يتحدث عن نفسه كقائد، كسلطان إنما يتحدث عن نفسه كعبد لله –عز وجل– وكانت هذه الكلمة هي الجبل الذي سقط على الجيش التتري فأهلكه بكامله، يا إخواني ويا أخواتي في موقعة عين جالوت في 25 رمضان سنة 658.هـ، فَنِيَ الجيش التتري بكامله، كل الجيش التتري بلا استثناء مات في هذه الموقعة، قُتل في هذه الموقعة ولم يأسر المسلمون أحدًا من هذا الجيش، بل فَنِيَ الجيش بكامله وانساح المسلمون في أرض الشام يحررونها من التتار.

الميلاد الحقيقي لدولة المماليك

ودخل قطز –رحمه الله– بعد ذلك بأربعة أو خمسة أيام مدينة دمشق فاتحًا ويتوافق ذلك مع عيد الفطر، وكان من أعظم الأعياد في تاريخ الأمة الإسلامية حيث حقَّق المسلمون نصرًا عظيمًا جدًا وكان هذا هو الميلاد الحقيقي تقريبًا لدولة المماليك العظمى، والتي ظلت بعد ذلك مدة ثلاثة قرون تحكم العالم الإسلامي، في لحظة يا إخواني زال

القطب الأول في العالم وهو قطب التتار، أو على الأقل القوة التترية الموجودة في الشام، وأصبحت القوة الأولى في العالم في ذلك الوقت هي قوة دولة المماليك، وطبعًا حررت زي ما قلنا أرض الشام من التتار وكذلك أرض فلسطين من التتار.

مقتل قطز –رحمه الله–

و–سبحان الله– بعد أقل من شهرين من موقعة عين جالوت، قُتِلَ قطز –رحمه الله– لكن آثاره العظيمة جدًا لم تمت بموته –رحمه الله– بل إنه حقق آثارًا من أعظم الآثار في تاريخ المسلمين، وطبعًا حادث قتل قطز هز العالم الإسلامي، هناك علامات استفهام كبيرة جدًا على قتله والأصابع في كثير من أقوال المؤرخين تتجه إلى الظاهر بيبرس –رحمه الله– الذي أتى من بعده، لكنَّني أشك كثيرًا جدًا في هذا الأمر وأعتقد أن الذي قتله إنسانٌ آخر ليس المجال هناك لتفصيل هذا الأمر، لكن المهم أنه بعد مقتل قطز –رحمه الله– تولى الأمور من بعده الظاهر بيبرس لتبدأ مرحلة جديدة في حياة الأمة الإسلامية في عهد دولة المماليك.

هذا ما سنعرفه في الحلقة القادمة

تُرى ماذا سيفعل الظاهر بيبرس وخلفاؤه مع بقايا وفلول التتار المبعثرين هنا وهناك في أطراف العالم الإسلامي؟ وتُرى ماذا سيفعله مع الصليبيين الذين مازالوا يحتلون الساحل الفلسطيني وأجزاء من الساحل اللبناني ويحتلون إلى الآن إمارة أنطاكيا في شمال سوريا؟ هذا ما سنعرفه بإذن الله في الحلقة القادمة، أسأل الله –عز وجل– أن يفقهنا في سننه، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله وتفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36